ترجمة وتلخيص

خطاب أندريه جيد

فى تأبين مكسيم جوركى

للسيد ماجد شيخ الأرض

ألقى كاتب فرنسا العظيم خطابه التأبينى فى ساحة موسكو الحمراء حيث شيع جثمان كاتب روسيا العالمى مكسيم جوركى إلى مقره الأخير قال :

ليست المصيبة بموت الكاتب الكبير مكسيم جوركى بمصيبة الاتحاد السوفييتى وحده ، إنما هى رزء العالم كله ، مادت لهوله الأرض من أقصاها لأقصاها . ولقد كان يسمع هذا الصوت الجبار الناطق بلسان الشعب الروسى العظيم فى كل قطر ، وينفذ صداه إلى كل قلب . ولست أعبر فى هذا الموقف عن شعورى وحدى ، فهو شعور الآداب الفرنسية ، بل هو شعور الأدب فى أوروبا ، بل هو شعور الثقافة فى العالم كله

بقيت الثقافة زمناً طويلاً وقفاً على الطبقات الرفيعة ، فلا يرد منهلها إلا فئة من الناس توفرت لهم أسباب الفراغ ، وما إخالكم تجهلون كيف تتوفر أسباب هذا الفراغ الذى تكدح من أجله الأغلبية الساحقة من البشر ، لتدع وقتاً تتاهى فيه تلك الطبقة الرفيعة القليلة بالثقافة والفنون الجميلة . وما أظنكم تجهلون أيضاً أن ورود منهل الثقافة ليس بمستطاع لكل من آنس فى نفسه ميلا أو ذكاء أو مقدرة . لقد ظهر فى ميدان الثقافة رجال كبار من عامة الشعب أمثال موليير وديدرو وروسو ، لكنهم كتبوا لغير طبقتهم وما قرأهم إلا الذين توفر لهم الفراغ

تشاءم الناس لثورة أكتوبر العظمى التى حررت الأغلبية الساحقة من النير المستحكم على رقابها ، فقالوا وكرروا القول بأن الثقافة أساس مدنية الانسان مهددة بالتأخر والانقراض ، لكن الأمور برهنت على عكس ما توهموه ، فان النظام الجديد رحب بالثقافة وعمل على ازدهارها

ودلت التجارب على أن الخطر آتٍ من نظام الرجعة الذى ارتأته الطبقة السائدة . وقد اجتمع الكتاب لحفظ الثقافة فى مؤتمر وجدوا فيه أن الخطر عليها كان فى العناصر الفاشستية التى تبغى الهيمنة على الفكر وجعله أداة تسخره فى سبيل أغراضها ، وفى العناصر الوطنية المتطرفة البعيدة عن محبة الوطن الصحيحة ، وأخيراً وجدوه فى الحرب التى تسعى إليها تلك العناصر القائمة على البغضاء وحب الذات

لقد كان علىّ أن أرأس مؤتمر الكتاب المنوى عقده فى لندن ، لكن النبأ السيئ باشتداد مرض جوركى اضطرنى أن أشخص مسرعاً إلى موسكو . ففى هذه الساحة الحمراء التى شهدت أحداثاً كثيرة سجل بها التاريخ صحائف بعضها فى الشرف والمجد ، وبعضها فى الخزى والعار ، وإلى جانب ضريح لينين العظيم الذى تصوب إليه أعين لا يحصى لها عد ، أعان بالنيابة عن الكتاب المجتمعين فى لندن وبالأصالة عن نفسى أن حفظ للثقافة وتقدمها معلق بأهداب الرجال القائمين بالحركات الثورية التقدمية ، ومصيرها منوط بمصير الاتحاد السوفييتى الذى نحميه نحن الثوريين بكل ما أوتينا من قوة

إن فوق كل مصلحة لأى شعب على هذه البسيطة مصلحة تجمع بين الطبقات العاملة المشتغلة الموزعة بين هذه الشعوب ، وإن فوق كل أدب ناطق بلسان من الألسن ، أدبا إنسانيا يعمل على نشر ما فى كل أدب خاص من الفضائل ؛ وقد وصفها ستالين بقوله : « وطنية فى الشكل ، اشتراكية فى الأصل »

لقد قلت مراراً بأن الكاتب بقدر ما يكون ذاتياً مخلصاً لذاتيته ، تكون غايته سامية وعامة . وليس من كاتب روسى شديد الميل لروسيته مثل مكسيم جوركى ، لذلك فاننا لا نجد كاتباً روسيا ذاع صيته وكثر قراؤه مثل مكسيم جوركى

شاهدت أمس الجماهير الغفيرة التى جاءت تلقى التحية الأخيرة على جثمان جوركى المسجى على فراش الموت ، واسمحوا لى إذا صارحتكم ، بأنى ظللت أسرح النظر فى هذا الموج المتدفق من الأطفال والنساء والعمال الذين كان جوركى صديقهم وترجمانهم ، بنشوة وإعجاب ؛ لكن نشوتى لا تلبث أن تنقلب إلى ألم يحز فى قلبى كلما تذكرت بأن كل هؤلاء فى غير